دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: رهانات المستقبل في ظل الثورات العربية
المصدر: مجلة الدبلوماسي
الناشر: وزارة الخارجية - معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية
المؤلف الرئيسي: أبو بكر، عبداللطيف عبدالقادر علي
المجلد/العدد: ع 57
محكمة: لا
التاريخ الميلادي: 2011
الشهر: أكتوبر
الصفحات: 24 - 25
رقم MD: 390001
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
قواعد المعلومات: EcoLink
مواضيع: الثورات العربية ، العالم العربي ، الثوار ، الإصلاح السياسي ، النظم السياسية
رابط: http://search.mandumah.com/Record/390001

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

رهانات المستقبل
في ظل الثورات العربية

الدكتور عبد اللطيف أبو بكر

سلطنة عمان

" إذا صوبت نيران مسدسك على الماضي، أطلق المستقبل نيران مدافعك عليك".. هذا ما قاله "رسول محمدوف" في سياق احتفائه بالمستقبل والتأهب لسيناريوهاته المحتملة، ليس على حساب الماضي الذي نستلهمه، ولا الحاضر الذي نعايشه، مؤكداً أن هناك- أيضاً- المستقبل الذي نستشرفه. نعم، وجدت أنا أراجع واقع الثورات العربية أننا لا ينبغي أن نتخاصم بشأن الماضي، بقدر ما ينبغي أن نتصالح بشأن المستقبل. إنها مهمة العلماء والمفكرين والفنانين والنخب المثقفة بوجه عام، يقول الكاتب البلغاري إيفان سلافون: "إن على المفكر أن يضيء الممرات المؤدية إلي المستقبل، وعليه أن يمنح الناس عيوناً جديدة"، ويقول الشاعر الفرنسي بول إيلوار: "ليس على المفكر أو الفنان أن يمجد الماضي، بل عليه أن يزعج ويرشد، ويمنح الناس أجنحة".

كنه الثورات:

الثورة في كنهها وفحواها عبارة عن هدم نظام وإنشاء جديد، فهذا ما أنجزت الثورات أحد طرفي المعادلة "إسقاط النظام القائم"، كما هو الحال في "نصف الثورات العربية" إن صح التعبير، كما هو حال الثورات العربية الآن، ولم تستحث السير في سبيل إنجاز الشطر الثاني "بناء نظام جديد" كانت كل جهود أصحاب الثورات وتضحياتهم مرشحة لأن تذهب أدراج الرياح، إنها لا تعدو أن تمثل نصف ثورة على أحسن الأحوال، وكما قيل: من يقومون بنصف ثورة، إنما يحفرون قبورهم بأيديهم، وفي أفضل التقديرات فإن هذه الثورات ما لم تلمس عروق المجتمع، وتنساب في شرايينه، وتتحول من ثورة سياسية على ثورة اجتماعية، فإنها ستكون عرضة للاختطاف، فالثورات — كما قيل- يقوم بها الضعفاء والفقراء، ويجني ثمارها الأغنياء والأقوياء، من هنا كانت الخشية على الثورات من الاختطاف، وإعادة إنتاج نسخ غير منقحة من الأنظمة البائدة.

عفوية الثورات العربية:

"أيها السائر ليس هناك طريق، الطرق تصنع بالمشي"، قول منسوب إلي أنطونيو ماتشادوا، وهو يفسر بامتياز حالة الحراك العفوي الذي هدرت به حناجر الجماهير، وتحركت به خطاها في أرض مجهولة لم تتحدد معالم السير فيها بعد. لم يكن من سوء حظ الثورات العربية بقدر ما كان من حسن طالعها أن تبدو بلا قادة أو رؤوس، أو على الأقل لم تبد صورة الملهمين لها، والمحرضين لأجلها، وهو ما لم يمكن خصومها من النيل منها، أو إخماد جذوتها وذبح قادتها من الوريد إلي الوريد.

إرهاصات الثورات:

في هذه اللحظة تحديداً تلح على الذاكرة قصة روائي جنوب إفريقيا المعروف أولفير شراينر وعنوانها: "حكاية مزرعة إفريقية" حيث ترد حكاية صيد يرويها مسافر أجنبي لصبي فلاح، وقد تمثل ذلك الصيد في البحث عن طائر الصدق الأبيض الذي كان قد رآه للحظة خاطفة على شاطئ البحيرة، فأراد أن يوقعه داخل شرك لاعتقاده الطيب في قفص تصوراته، إلا أنه عرف أن طائر الصدق لا يمكن نيله إلا

بالصدق فقط، فترك وادي الأوهام، وبدأ الصعود فوق جبل الصدق، وظل يصعد ويصعد، حتى وقف أمام صخرة عالية تعترض طريقه، فبدأ يصنع سلالم وأدراجاً، وظل يصنع تلك السلالم والأدراج سنة بعد سنة حتى أصابته الشيخوخة، وهده الهرم... وحينئذ وصل إلي قمتها، غير أنه أدرك بعد ذلك أن أمامه صخرة أخرى تفوق الأولي في علوها وضخامتها، بينما عمره الآن قد وصل إلي نهايته، ففارق الحياة عند هذا الحد.

وفي سكرات موته، وهو يجود بنفسه، سقطت عليه ريشة بيضاء من جناح الطائر، فتأكد حينئذ أن الطائر الذي يقصده يقف هناك عند الصخرة التالية، وأسلم الروح مطمئناً، لأن الجيل الذي يليه لن يضطر إلي بناء تلك السلالم والأدراج السابقة، وسوف يتمكن هذا الجيل من أن يمسك جناح الطائر بيده، ومات الشيخ وهو يقول: " حيث أرقد، وقد هدني الضعف والهرم، وحطمتني الشيخوخة، سيقف رجال آخرون، شباب قوي، تملؤهم النضرة والحيوية، سوف يصعدون الدرجات التي صنعت، لن يعرفوا اسم الرجل الذي صنع هذه الدرجات، ولكنهم سوف يصعدون، وعلى سلمي سيصعدون، وسوف يجدون الصدق، ومن خلالي سيجدونه".

لم أجد أفضل من الكلمات السابقة لأؤكد أن الثورات العربية لم تكن بمعزل عن سياقها التاريخي، وموروثها النضالي الذي انطلقت بواكيره على يد عديد من دعاة الإصلاح والتجديد، بعضهم من قضي نحبه، ومنهم من ينتظر، وهو ما يتماهي مع الحكمة التي تعزي إلي قبيلة الآباش (إحدى قبائل الهنود الحمر) والتي تقول: "إذا اعترض رجل طريقك، ولم تر إلا قدميه، فلا تعني هذا أنه بلا رأس"، وهي حكمة لم تزل تلح على الذاكرة وأنا أطالع كثيراً من التحليلات التي أرادت أن تخاصم حركة التاريخ وتغض الطرف عن الإرهاصات الأولي التي بشرت بتلك الثورات، ومهدت لها.

حرق المراحل:

مع تحول دور الشارع العربي من المجاز إلي الحقيقة، وجدنا من يريدون أن يقطعوا في خطوة واحدة كل الطريق، في محاولة لحرق المراحل الطبيعية التي تمر بها جل الثورات. ربما كان الباعث الحثيث على ذلك هو حالة القمع التي رزح تحت نيرها قطاع كبير من أبناء أمتنا، كما دفع إلي ذلك الرغبة الجامحة في تجاوز الوضع القائم إلي وضع قادم، والانتقال من الموجود إلي المنشود، في ظل حالة من الانفلات والفوضى التي تعمدتها فلول الأنظمة البائدة، والتي زامنت الثورات ولا تزال تصب مزيداً من الأسئلة على نار الحيرة التي نعيشها. وقد نسي بعضنا أو تناسي أن تاريخ الثورات يحدثنا أنها أخذت سنين عدداً حتى أنجزت ما قامت من أجله.

إذا أضفنا إلي ذلك أن من تسلموا زمام الأمور لم يكونوا بالأساس هم الثوار الذين نفخوا النار لتلك الثورات وأشعلوها، بل قام بذلك آخرون نيابة عنهم، ومع حالة التباطؤ التي تشي بالتواطؤ، كانت إثارة العواطف حيناً، والعواصف في كثير من الأحيان.

الثورات العربية لم تكن بمعزل عن سياقها التاريخي، وموروثها النضالي الذي انطلقت بواكيره على يد عديد من دعاة الإصلاح والتجديد

وكما أن الظلم والقهر كانت القطرة التي أفاضت الكأس، وأسهمت في تدحرج الشعارات التي هدرت بها حناجر الثائرين، وتحولت من المطالبة بالحرية والعدالة، إلي المطالبة بإسقاط الأنظمة المستبدة، وألقت بها في مهاوى الردى، كذلك كان التباطؤ هو القشة التي قصمت ظهر البعير وحدت بالثائرين لمحاولة حرق المراحل واختصارها، علي الرغم من أن القراءة السننية تؤكد سنة التدريج، خاصة إذا علمنا أن الثورة في حقيقتها إنما تنطوي على ثنائية الهدم والبناء كما أشرنا من قبل.